

المحاضرة الرابعة: عوامل ظهور الصحافة في أوروبا

تطورت الصحافة في أوروبا بشكل ملحوظ خاصة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الذين شهدا ميلاد عدة عناوين صحفية وبأشكال متعددة، بالرغم من كون الكثير منها لم يعمر طويلا في الساحة الصحفية. وقد كان لظهور الطباعة الدور البارز في ظهور وتطور الصحافة في أوروبا، خاصة وأنها مكنت فلاسفة التنوير من نقل ونشر أفكارهم على أوسع نطاق لتغيير الواقع السياسي والاجتماعي الذي كان سائدا في تلك الفترة.

1- العوامل السياسية والثقافية:

بالرغم من كون اختراع المطبعة السبب المباشر الأول لظهور وتطور الصحافة في الغرب عموما وفي أوروبا على وجه الخصوص، حيث سمحت بتلبية مطالب الجماهير من حيث الطبع والتوزيع، كما تحولت الصناعة الصحفية إلى سوق بآتم معنى الكلمة. إلا أن النضال من أجل الحريات السياسية والاجتماعية، جعل من الصحافة الرافد الأول والسبيل الوحيد للتعبير عن الإرادة الشعبية التي كافح فلاسفة التنوير في أوروبا لتجسيدها على أرض الواقع.

فقد كانت الأوضاع السياسية في أوروبا خلال القرون الوسطى تتميز بسيطرة الطبقة الحاكمة والكنيسة على الإرادة الفردية والجماعية، بسبب الاعتقادات القائلة بأن الكنيسة لها السيطرة الروحية والحاكم يحكم بتفويض من الله، لتتغير هذه النظرية لاحقا بتراجع نفوذ السلطة الحاكمة بفعل جهود فلاسفة التنوير في تنمية روح الشك والنقد لدى الأفراد، وقد ساهمت تلك الجهود أيضا في تحسين المستوى الثقافي والتعليمي بين الطبقات الوسطى.

إضافة إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية الأمر الذي أدى من جهة إلى رفع مستوى الضغط الشعبي من جهة باستخدام الصحافة والمناشير من جهة، واعتماد السلطة على نفس الوسائل من جهة أخرى لدعم موقفها والدعاية لسياساتها بعد إدراكها لفائدة الصحافة وتأثيرها على الرأي العام، وقد كانت صحيفة لاغازيت La Gazette نموذجاً من تلك الصحافة الداعمة لتوجهات السلطة الحاكمة.

2- العوامل الاقتصادية والاجتماعية:

ساهم نظام الإقطاع الذي كان يسود أوروبا في القرون الوسطى، في انهيار الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وتراجع نفوذ السلطة الحاكمة والكنيسة على الشؤون الاقتصادية خاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وهي القرون التي شهدت الظهور الفعلي للصحافة المكتوبة واستقرار نسبيا لبعض العناوين خاصة في فرنسا وبريطانيا.

وبالنظر إلى فشل نظام الإقطاع الذي كان يعتمد بالأساس على الزراعة، نمت التجارة بين الشرق والغرب خاصة في حوض المتوسط، الأمر الذي زيادة حاجة التجار والبرجوازيين إلى معرفة الأخبار حول الطرق التجارية وأسعار السوق وأنواع السلع والخدمات التي تشهد رواجاً في أوروبا عموماً. فضلا عن كون الصحافة طريقة سريعة للوصول إلى المستهلكين من خلال الترويج للسلع والخدمات عن طريق الصحافة. كما ساهم التطور الصناعي خلال الثامن عشر والتاسع عشر في تحسين طرق طبع الصحافة وتوزيعها.